شعر

نزفُ التّراب

بكر زواهرة

"نزف التراب"

(شعر)

الطبعة الأولى (٢٠١١)

جميع الحقوق محفوظة

صدرت عن

دار الجندي للنشر والتوزيع – القدس

٠٠٩٧٢٥٤٢٢٦٣٤٥٤

info@aljundi.biz

www.aljundi.biz

الإخراج الفني

الريشة

الأفكار الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشر.

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، بدون إذن خطي من الناشر.

شعر

بكر زواهرة

نزفُ التّراب

AL JUNDI
PUBLISHING HOUSE

وطنيّات

يا قدسُ

يا قدس إني وكل الشعر في خجلِ
ما يفعل الشعر عند اليأس والأجلِ؟
قد طأطأ الشعر عند القدس هامته
فالسيف أَولى من الأقوال في الحللِ
هل للجريح دواء في مسامعه
يغنيه عن بلسم الأسقام والعطلِ؟
إنا اكتفينا بنظم الشعر ملحمة
تمشي القوافي بنا في مذبح الأملِ
إن الأمير لنظم الشعر منتخب
من قال فيك لسان الجدّ والهزلِ
هل أنت حسناء بالأشعار نعشقها؟
حسناء ما ترتجي والحزن كالجبلِ

أين الأمير الذي بالغار نتحفه؟
لا الشعر، بل في علو الفعل والعملِ
يرمي الإمارة، أو يرمي مفاتنها
حتى يقود عظيم الجيش في عجلِ
الرأي من ثاني الاثنين يأخذه
النصر أو موته في أشرف المثلِ
لم يبق في أمر إنقاذ الحمى أحدًا
من الشيوخ، ومن يشكو من العللِ
يلقى المنايا، إذا تلقاه، مبتسمًا
يمشي إليها بدون الخوف والوجلِ
يا قدس هذي جراح والصديد بها
إذ كل جرح يسوق العضو للشللِ
بيت يئن، وذي القطعان تغصبه،
والأهل ليس لهم إلا أسى الثكلِ
يأوون في خيمة، والجو خيمتهُم،
والأرضُ فرشتهم، والغاز في المقلِ

بيتٌ على الأرض، إن الأرض تسكنُهُ

بالزيتِ، والتينِ، والزيتونِ، والعسَلِ

أي الكتاب على الجدران قد رسمت؟

ختم الزمان على الجدران في الجملِ

القدسُ كالشمسِ بالأنوارِ طالعةٌ

إن بدّلوها، فإنّ القدسَ في بَدلِ

هل فيكِ من موضعٍ للطعنِ محتملِ

في الرجلِ والخصرِ والأطراف

والخصلِ؟

لا.. لا أرى فيكِ إلا النّزف مكتملاً

ما بين رمحينِ، رمحٌ فيك في العضلِ

ماذا يقال وملء القدس أوبئة

تسري على مهبط الأديان والرسلِ

يا قدس إني وكل الشعر في خجل

ما يفعل الشعر عند اليأس

والأجلِ

القدس قلعة الأمجاد

لما أتيتُ لترب القدسِ أنجذبُ
القلبُ من شدّه الأشواق يضطربُ
قد كنتُ في منتأى والدمعُ أذرفه
لا يذرفُ الدمعَ إلاّ من به وصبُ
واليوم قد عاد هذا الدهر يجمعنا
والكف في النار والأجواء تلتهبُ
يا قلبَ قلبي حنايا الصدرِ تحفظُه
ما كنتُ جسمًا بدون القلب ينتصبُ
منذ الصبا ذكرياتٌ لي أردّدها
فالجرحُ عودٌ به الأوتار تنتحبُ
ألهمتني الشعر حتى رحت أنسجهُ
والنثر كالشعر إذ يلقاك يصطخبُ

ألهمتِ من لا يجيد النطق منطقَه

حتى تهادى عليك المدحُ والخطبُ

لو أن شعري وكلّ الناظمين أتوا

في واحدٍ من ثنايا السورِ لانسحبوا

أم الدّنا أنتِ والأيامُ شاهدةٌ

والشرقُ والغربُ والفرسانُ والعربُ

لو لمْ تكوني لهذا الكونِ ساحرةً

ما جيّشَ الروم جيشًا قادَه النخبُ

يا قدسُ معذرة إن جئت محترقًا

فالعلج فوقك والأوثان والسّغبُ

يا قطعةً من رياضِ الخلد يانعةً

رغم الجحيم يسيلُ الشهد والرطبُ

يا راجيًا من ضروب الفن أمثلةً

الفنُّ في القدسِ والإبداعُ والعجبُ

مدينة من كنوز الأرض قد جُبلت

فبان في جلدها الياقوت والذهبُ

معالم لا تملّ العين مشهدَها
تعانقت فوقها الأبراج والقببُ
مرّت يد الدهر لا أضرار تُحدثها
كأنما سالمتك الريح والحقبُ
كم من غزاةٍ على تعدادهم سُحقوا
وأنت طول المدى ما زلت إذْ ذهبوا
كالسنديانة في الأفاق فارعة
والبوم يندب والغربان تنتعبُ
قد يرجع الصبح حيث الطور مطلعه
لمّا يراك من الأنوار ينقلبُ
لأنت طبّ إذا الأنفاس ضائقة
يأتيك في ذروة الإعياء مكتئبُ
بمهجتي أنت والأيام ساكنة
بالأمس والآن حتى الروح تنسلبُ

بكيتُ قدسًا

بكيتُ قدسًا كما الأحباب تبكيني
هل يا ترى الدمع في الأجفان يكفيني
أم أنه من كثير الصبّ مفتقدٌ
حتى غدا الملح كالنيران يكويني
يا ليت حزني بماء العين منطفئ
الهم شوك تساقى الدمع يطويني
لو صبّ دمعي على النيران قاطبة
أضحت رمادًا وبطن الأرض كالطينِ
يا قدس، يا نبع جرح ليس يبلغه
نبع الكلام ونطق الضاد والنونِ

إني جرعت الأسى، فالكأس طافحة
أن قلت يومًا كفى، فالخطب يضنيني
يا قدس شكوايَ في الأضلاع أكبتها
إن لم أجد بعدها ردًّا يداويني
إن المنايا أراها جدّ طاعنة
ولا تريد طعانًا غير مسنونِ
إن الحراب لرأس الأمر قاصدة
أطرافه لا ترى جزءًا بتأمينِ
يا قدس، يا لحن شعر بات يوجعنا
مما به وجع يلقى بتأبينِ
يا قدس، هل أمة المليار راشدة
أم أنها مثلَ مسلوبٍ بأفيونِ
مسلوبة في مباراة تراقبها
مثل الوغى شأنها فيها كبالونِ
ترضى هوانا بكأس الذل تشربه

اكدرا طين به إمرار غسلينِ

قد ذقت من قوم موسى مثلما أبدًا

تذوقوا السوء من أسياط فرعونِ

مذ هنت هانت على الأقوام أمّتنا

حتى عَلاها النذل من فوق ومن

دونِ

مذ هنت قلت على الأعداء هيبتنا

حتى غدونا حقولاً مثل جرذونِ

يا قدس، يا لوعة العشاق إن بعدوا

يا شهد لفظٍ بأفواه الملايينِ

يا ليت قلبي له كالأفق متسع

حتى تكوني بعيد الحب تكويني

كأن أحجارك الأنهار جارية

يهدي لها الدهر أصباغًا بتلوينِ

تروي لنا صفحه الأقوام صادقة

من ألف عهد، ومن إرساء قانونِ

حسناء والسور مثل العقد منتظم

من فوق جيد، ومن أوصال تفتينِ

عودت قلبي طيوف الحب تنسجه

إذ لست أذكر حبًّا غير يسبيني

عودت صدري نسيمًا منك ينشقه

كالبحر يحيي، وأنت البحر يحييني

يا قدس رؤياك فرض كم يلازمني

إن غبت عنك ففي الأحلام تأتيني

أحنو على تربك الغالي أقبّله

خدًّا أسيلاً، ومنك الخد يغريني

هذا خلودي على طول المدى أبدًا

ما متّ يومًا، وهذا الترب يؤويني

غزة .. إمبراطورية العرب

يا شعر هل أنت مثل القلب تتقدُ
إذ كيف لا، والأسى نهر له مددُ
في كل حرب على الأعراب دائرة
نستصرخ الشعر في الأنماط نجتهدُ
هل أنت يا شعر جيش قد نغاث به
إذ نستغيث الدّنا والغوث يفتقدُ
يا شعر ثُرْ، واصعق الأسماع قافيةً
من غزة العرب والأرواح تنحصدُ
لا تبق حبرًا على الأوراق نكتبه
بل كنْ حمامًا على الأعداء يحتشدُ
وكن لجامًا لأفواه وألسنةٍ
تؤازرُ البغي دون السيف تنتقدُ

وكن نشيدًا على تلك السهول بها
تعلو صمودًا مع الزخات تتحدُ
في غزة النارُ فوق الشعب هاطلةٌ
ما ينبت الغيث بالنيران ينجردُ
يلفها من دخان القصف أغطية
فالقصف ليل له في دورها عمدُ
رئاتها الستّ لا يسري بها نفس
ولفّها القتل والتدمير والزردُ
يا غزة الجرح، إن الجرح ملتئم
مما صبرت وهذا الجيش يضطهدُ
وفي ذراعيك طفل ليس يرحمه
ذئب، إذا خاف، والأنياب ترتعدُ
لم يشهد العيش في الأيام جافلة
أن يقصف الناسَ مَن ناموا ومَن سجدوا
زيف الحضارة هذا القصف يظهره
كأن تيمور مع أحقاده نجدُ

يا جيش (جينوس) أنت اليوم منهزم
مهما تخوف من أرتالك الأمدُ
يا ضاربي النار، إن النار عاجزة
عن قتل روح، وإن يحرق بها الجسدُ
هل أنت غزة مَن أوقدت محرقةً
ضدّ اليهود، وهذا الثأر ما وعدوا؟
أم أنت للعدل لمّا ضاع رجعتهُ
وتغضبين له ما يغضب الأسدُ
في كل عام لهذا الشعب مذبحة
من عهد (صَبرا) لنا في ذكرها كمدُ
لو رحت أحصي على آثارها رقمًا
لاستنفد السطر والأقلام ما أفدُ
(جنين) كم راح يبكي جرحها وطن
وغزة اليوم تبكي نزفها (صفدُ)
(باروخ) من أطلق النيران تدفعه
أشتاتهم كلما استوطنوا فسدوا

والقدس في لوعة الأغلال رازحة
ووجهها من سياط الغم ينجلدُ
في ساحة المسجد الأقصى فشت ظلم
لا يبصر المحدق الوالد الولدُ
يا غزة العرب أن تستنجدي عربًا
قد تبصري قمة في جيدها مسدُ
قد تبصري قمة من خلفها قمم
تصاغرت عن مدى الإبصار تبتعدُ
والقائمون بها في الحشر قد جمعوا
من قبل أن يحشر الواحد الصمدُ
ما أسعفت قمة في القاع قد سقطت
بغداد لا، بل عليها الجو يترصدُ
والبر والبحر قد ساماهما عجمٌ
لولا التخاذل لم يسقط لنا بلدُ
يشاهد الكون ما يجري فينكره
كأنما الكون في إبصاره رمدُ

لا يسأل الكون عن موؤدة وئدت

بل يشجب الكون من ماتوا ومن طردوا

الشكر للكون دون الراء نرسله

ودون كاف وهذا الكون ينعقدُ

ستّون عامًا

ستونَ عامًا مثلَ ألفٍ تفعلُ
شعب يبادُ عن الديار يرحّلُ
وعلى وجوه النازحين كأنها
خطّت برسم في الجلود يفتّلُ
وهناكَ في أرض الشتات تشتتٌ
وهناك ثكلى كم تموتُ وتقتلُ
شعب تخطّفه الردى فكأنه
خبز الردى في كل أرض يؤكلُ
شعب سجين لا حقوق تَصونه
والعيشُ يسلب والحَضارة تجهلُ
ستونَ عامًا والعجوز بكفّها
مفتاح بيتٍ كالدراهم يحملُ

والشيخ يصبو للسهول موجّعًا
ويخوض في حلم الرجوع ويسألُ
ويظن أن الريحَ تحملُ حبةً
من تربها قبل السلامِ يُقبّلُ
ستونَ عامًا والحدادُ موزّع
أن قام من أرضٍ لأخرى ينقلُ
مرّت كأفعى في دَوائرِها لظى
في كل شيءٍ سمّها يتغلغلُ
وَوَسائل الأعلام في نشراتها
صور الضحايا للمشاهد تسملُ
وصحائف الأيامِ مطلعها كما
هو من دمارٍ للبهائم يشملُ
ستونَ لو أن الدموعَ تجمّعت
لَرَأيت غيمًا بالمَدامع يهطلُ
ستونَ عامًا والظلامُ مخيّم
هل يا ترى ليل الجريمة يأفلُ؟

فلسطين تبكي

فلسطينُ تبكي في بكاها توجعُ
فأوصال شعبٍ في القطاع تقطَّعُ
فلسطين تبكي والمصابُ يهزُّها
ونيرانُ حربٍ في بَنيها تولَّعُ
حرابٌ وطعنٌ واغتصابُ معيشةٍ
وأظفارُ وحشٍ كالخناجرِ تزرعُ
تأن على نزف الضحايا نساؤها
وأطفالها من سمّ البنادق ترضعُ
وشعب بأسوار القلاع محاصرٌ
يذوق المنايا الدائرات ويجرعُ
يحومُ عليها البومُ دون منازعٍ
وتبقى نسور الأفق فيها تركّعُ

ففي كل يوم للمصيبة مشهدٌ

وزهر شبابٍ في الترابِ يوزّعُ

وفي المسجد الأقصى المبارك

غصةٌ

فلا صوتَ إلا للمآذن يسمَعُ

فلسطينُ تبكي والمخيم نازفٌ

وأركان بيتٍ بالقذائفِ يصدعُ

فلسطينُ يا أرضًا طهورًا تقسّمتْ

ترابًا وماءً، والسماءُ تزعزعُ

فلسطين تبكي والدماء دموعها

كأمّ ترى موت البنين فتفجعُ

الأرض أرضي

الأرض أرضي وفي أترابها شجري
شربت من حبها في المهد والكبرِ
قد داعبتني صغيرًا يافع العمرِ
عششت مع طيرها في غصنها النضرِ
سهرت في ليلها أبكي مع القمرِ
غازلتها في آمان العيش والخطرِ

* * *

الأرض أرضي وهذا الزيت من ثمري
فيها جذوري تمصّ الماء من حجرِ
فيها جدودي وجد العرب من مضرِ

أرضي كمخطوطة من أجمل الصورِ
القدس فيها جمال الرسم والأثرِ
في سحرها روعة للوجه والبصرِ
سبتْ جميع الخلق من جن ومن بشرِ

* * *

الأرض أرضي وماء الأرض من عبري
عانقتها في ربوع البدو والحضرِ
صحراؤها واحة والبيت من شعرِ
قد همت فيها وحب الرمل كالدّررِ
الأرض أرضي وفي طياتها قدري

رائد الإصلاح

حيّيت فيك مواقفًا ومواهبَا
حيّيت فيك مداخلاً ومناقبَا
حيّيت شخصك إذ تفيض رجولة
شماء لا لا تستميح مصائبَا
ووجدت شعري من شموخك شامخًا
ككتيبة لمّا يراك كتائبَا
ووجدته يرنو مديحك طالبًا
إذ كان يعصي في المدائح طالبَا
يا شيخ مثلك للمديح مدائح
فخلاك نلقى في المديح معايبَا
إذ أنت في هذا الزمان غريبة
للناظرين ولا يرون غرائبَا

يا رائد الإصلاح أنت صلاحنا
تهدي الصلاح ولا تريد مكاسبَا
ودأبت تزرع في النفوس فضيلةً
تأبى النكوص ولا تعدّ ضرائبَا
وطلعت من كبد السماء ككوكب
وزأرت ليثًا في البرية غاضبَا
من بأس سيف الله بأسك طالع
ومن الصحابة ما جمعت مناقبَا
وشجبت بالفعل المخضّب ظالمًا
وشجبت من قد كان قولاً شاجبَا
للهِ درّك فالجمار تدوسها
صلبًا ترى في الجارحات زواغبَا
للهِ درّكَ لا تهاب منيةً
من خلفها حقد يشدّ حواجبَا
قدت السفينة والرياح عواصف
ولجاجة في البحر تسحب جانبَا

قد قدتها لمّا السفائن أحجمت

خوف السفائن أن تلامس عاطبَا

والبحر يعجب إذ تجيش مروءةً

زمنًا رأى شخص الثمالة ساكبَا

أبليت نعلك في البلاد تجوسها

برًّا وبحرًا، إن أردت سحائبَا

وصنعت من فحم الشمال بلمسِه

فكرًا يروّض في الحياة متاعبَا

يا راعيًا حفظ البلاد أمانةً

تعطي الولاة من العظات مذاهبَا

تعطي المناضل في النضال وسامةً

تعلي المراتب في الكفاح مراتبَا

تهبُ اليتيم رعاية وكفالةً

وتكفّ دمعًا للثواكل واجبَا

ما كنت تنعم بالمنام ودفئه

إن كنت تعرف في الطفولة سائبَا

يا رائد الخيرات قد أطلقتها

مطرًا يردّ اليابسات خواصبَا

يا فارسًا للقدس أنت تصونها

أبدًا وتطرد في (القديمة) غاصبًا

وتصكّ رأس الذئب يطبق فكّه

في جيد ظبيٍ لا يحرّك هاربَا

إن الملوك إذا يروك أصاغر

كالواقفين على القصور حواجبَا

الجاعلين من الشعوب مطيّةً

ولأنت تحمل بالمطية راكبَا

عبدوا الحياة دراهمًا ولذائذًا

وشربت من دون الخبيزة رائبَا

أضعفت ضعفًا إذ هزمت هزيمة

وعزمت عزمًا بالإرادة ثاقبَا

هذي الحقائق قد نسيتُ كثيرها

فليكتبِ التاريخ عنك مكاتبَا

خالد بن الوليد

يا سيد الحرب، إن الحرب تنكسرُ
من بعد سيفك، إن السيف يندثرُ
حاربت روما وفُرسا، كل خائنةٍ
في العرب قامت بأمر السوءِ تأتمرُ
حاربت جيشًا بكل الأرض منتشرًا
في يوم مؤتة كاد الجيش يندحرُ
من فِكر فلسفةٍ قلّبت ميمنةً
قدّمتَ، أخّرت، بالتدبير تنتصرُ
جنّبت جيشك موجَ الموت يرقبهم
حتى وسمت وسام الله تفتخرُ
قد سلّك الله للأعداء ترهبُهم
إذ حزت فنًّا به الأعداءُ تنتحرُ

ابن الوليدِ، وما في الأرض رحمٍ
يأتي بمثلك والأيام تعتذرُ
كم من هزائم قد راحت تطوّقنا
لو كنتَ فينا لكانَ النصرُ يعتبرُ
أبا سليمانَ، يا قطّاع أوديةٍ
للخيلِ تورد حيث الخيلِ تنزجرُ
من العراق إلى اليرموك مسرعةً
أرتالُ جيشك في الصحراءِ تنتشرُ
أهنت (ماهان) لمّا قاد كثرتهم
أهنته في كثير الجيش يحتقرُ
لمّا رأوك كأن الله يقتلهم
تهوي نجوم، وسقف الأفق ينفطرُ
أبا سليمان، في الألقاب مكذبةٌ
على العساكر تيجانٌ بها ظفرُ
لا حرب خاضوا على الأوطان
صولتهم

مقهى يلمّهمو في موكبٍ عبروا

أمجادهم في خداعِ الشعب ضالعة

لا مجد يذكر إن لم ينثرِ الغبرُ

سمّوا بإسمك للتزيين تسميةً

كي يبهر الطفلُ والإيماء والبصرُ

ما كان جيشكَ للأعياد عدّته

ما الجيش إلا بنار الحرب يختبرُ

لا سيف دولة ما قالوا وما مدحوا

السيف أنت، وأنت الموت والقدرُ

النصر عندك لا ما قد تكف به

غزوًا، بل النصر أن يُستأصل

الخطرُ

في الخلق من مثل ما في الخلق من

صور

وصورة الحرب ما يُسترهب البشرُ

النبل والرمح والأسيافُ رافضة

للطعن فيك بك الأسياف تنغمرُ

يا خالد العرب إن العرب واهنةٌ

يرمي بها غاصب ما أنذرت صَقرُ

أبا البطولة إذ أمسكتها قُدمًا

بُعيد فقدك في أطفالها حسرُ

لو كان نجم بقلب السوء نيّته

أزحته في حضيض الأرض ينحدرُ

النصر تحتك في الأيام تركبه

مُهرًا ذلولاً كظهر الأرض ينتهرُ

خيانة عنترة

قد خان (عبل) اليوم (شدادُ)
ما صانها والمعتدي جلادُ
خان القبيلة والقرابة كلها
وأباح ما قد حرم الأجدادُ
قد كان أسود بالبياض متوجًا
للمجد سلاّل وجرَادُ
قتال أبطال بيوم كريهة
صداد غزو للحمى ردادُ
ساد الزمان بعزة وكرامة
واليوم أقزام له أسيادُ
قد كان يغضب إذ تضيع بهيمةٌ
ما باله إن تقتل الأحفادُ

جعل العدو يكل أرض مطعمًا
في كل واد تشهد الأشهادُ
جعل القصائد بالسيوف هدايةً
وعلى الجواد مضرج أجهادُ
يا (عبل) أبلغك العشيق مذلل
يبكى عليه وتضحك الحسادُ
أين المحجل والمثقف والقنا
أين التي يعيا بها الحدادُ
للبيع تعرض في المزاد رخيصة
أسعارها ما سامها الروادُ
دهر مضى هل أنت سامعة له
فخرًا تجيء به غدًا أعيادُ
هل كان من قطع الحديد بناءه
شأن الحديد من الصّدا ينبادُ
لا تعجبي من ذا إلا فلتعجبي
من سيفه فينا وما ينحادُ

أغرى بأرض للعروبة طامعًا
يبتزّها الأقوام والأفرادُ
تسبى بلاد والعويل مجلجل
وعزاؤه صوت الغنا أعوادُ
وبه من الجهل جهل مطبق
ينأى به عما يكتب (العقادُ)
ظني بأن القدس لا يدري بها
خبرًا ولا ماذا غدت بغدادُ
لا دار إلا الذل يسكنها ولا
يرجو فكاكًا إن أحكمت أصفادُ
إني لأسأل والسؤال مجاوب
هل دحرجت شمس الدنا أولادُ
الفقر يضرب بالعصاة شعوبه
ويجود ما لا تحسبُ الأبعادُ
أين الذي صاد الطرائد كلها
وتجمدت من خوفه الآسادُ

يا (عبل) لا تتزوجي ممن كبا

حتى يعود ويصمت النقادُ

في رثاء محمود درويش

فجعَ القريضُ وللقريض عزائي
ولروح محمود الكبير بكائي
ستظل عيني في بكاك سخيةً
كثرُ البكاء يصيبها بعماءِ
قد جئت يعصرني الأسى في
موقف
قطع اللسان بشفرة النكباءِ
ومرارة الأحزان تحرق خاطري
مسكوبة في الجسم والأحشاءِ
أستلهم الأشعار منك ثمينةً
يا ملهم الأشعار للأحياءِ
يا من رسمت من الفؤاد حكايةً

حمراء تسري في دم العظماءِ

ورسالة رغم الدجى قد أشرقت

للجاهلين سنًا وللعلماءِ

محمود يا علمًا يرفّ على ربى

ويرف فوق كتيبة ولواءِ

تلك الروابي اليانعات تركتها

بعد الخصيب بموقف استجداءِ

محمود يا أصداء صوت صارخ

من ناهضين بأمة ثكلاءِ

الحافظين بلادَهم وترابهم

من سطوة الأحقاد والأهواءِ

يجدون دربك للحضارة مسلكًا

بالحب والإخلاص للبسطاءِ

محمود شعرك للخليقة كلّها

يا روعةً في أعين الغرباءِ

يكفيك من قدر الفخار بأنهم

جعلوك في التعليم للأبناءِ

محمود يا رمز السلام وغصنه

يا لوعة العشاق في الظلماءِ

محمود يا رمز الفداء لأمةٍ

أبدًا يظلّ ككوكب الجوزاءِ

يا ومضة الصبح الجميل

تسرّبت

من قسوة السجان للسجناءِ

يا عيد شعب توّجوه بمحفلٍ

كالنصر يبسم من وراء جلاءِ

هل لي إليك بنظرةٍ أغدو بها

فوق البليغ ومنطق البلغاءِ

ألهمت نفسي من كلامك نبعة

أروت فما من حرقة الرمضاءِ

تلتفّ حولك في العزاء جموعُنا

فكأنها في خطبةٍ خرساءِ

قد كان عرسك لو علمت مزلزلاً
أُفق البلاد كموكب الشهداءِ
ولأنت رغم الموت تشمخ شاعرًا
أنت الخطيب بمأتمٍ وعزاءِ
يا فارس الأقلام أنت تسلّها
أبدًا ليوم كريهةٍ ولقاءِ
وسللتها وسط الرصاص
رصاصةً
تغتال منك رصاصة البلهاءِ
محمود اسمك والفعال تطابقا
وعظيم أسماء أرى لفناءِ
محمود مهلاً في الرحيل فإننا
مثل القبيلة في ردى الشحناءِ
هذي الحياة عجيبةٌ إذ أنزلتْ
بدر الدجى في التربة الجوفاءِ

عيد الأضاحي

أنذبحُ أم سنذبحها الأضاحي
فتُهمتنا ستلصق بالأضاحي
نغار على خروف العيد صبحًا
وثور الخوف يجثم في المراحِ
سئمنا من سيوف الذبح فينا
وأشلاء تشاهد في الضواحي
تسلّمنا ذئاب للمنايا
وتأكلنا على طبق الصباحِ
فلا عيد يسمّى اليوم عيدًا
وهذا الشعب يُذبح بالسلاحِ
كأنّا في حساب الخلق صرنا
بهائمَ لا تحرّم في المباحِ

جنائزنا بأرض اللهِ تترى
ونحسبها مواكبَ للنكاحِ
نسجنا في ثياب الموت خيطًا
لعل الموت يبدو كالأقاحِ
تناطحنا قرونٌ يابسات
كمثل السيف تشرع
للنطاحِ
على (بغداد) أطيار الليالي
وشأن النسر قطعٌ في الجناحِ
أزقّتها تناجي الموتَ لطفًا
وهل تُثنى المكاره بالصياحِ
كأن الماء في النهرين غسلٌ
ولا يكفي لنزفٍ بالرماحِ
ووجه الأرض عن نبت عقيمٍ
يلوّنه التجلّط بالصفاحِ
أليس العار أن أحيا سعيدًا

وأطفال ترضّع من جراحِ

ترى الألعاب أشباحًا لقتلٍ

فصار العيد عنوان الكساحِ

وأمواج بترب القدس ماجتْ

كزلزال يشرد في البطاحِ

معالمها تعاني اليوم مسحًا

وتزويرَ الحقائق في الصحاحِ

مبانيها تعاني اليوم جرفًا

وهدمًا في مساءٍ أو صباحِ

جراح الشيخ عمّقها دخيلٌ

وساح الدار يملأُ بالنباحِ

وجدّاتٌ بكينَ الغرس حزنًا

وجزّار الشجيرة في انشراحِ

وغزّيٌّ رأى الأحفاد قتلى

سيقضي العيدَ عيدًا للنّواحِ

وتلميذ إذا أنهى دوامًا

يظن البيتَ يغرب في الرواحِ

وماء البئر عين من دموعٍ

ودمع العين بئر من قراحي

أننثرُ في معايدة ورودًا

وشوك الحزن مشتبك النواحِ

سيطلع في صباح العيد عيدٌ

وهذا الليل يُقتل بالكساحِ

الشهيد

من ضوء وجهك وجه الترب يلتمعُ
ومن جراحك ضوء الشمس ينسطعُ
أصبحت جذرًا يفت الصخر صاعقة
أصبحت جذرًا فساق المجد يرتفعُ
فأنت أنت برغم القبر أفضلنا
ما زلت حيًّا وذي الأحياء تستمعُ
مزقت صلدًا رصاص الغدر تقتله
يبكي وفي قلبه الإرجاف والجزعُ
أضحكت وجهك حين الموت يعبسه
أكثرت هزءًا وكل الموت يجتمعُ
قد أرسلوك لصدر الأم ثانية
أمّ تناغي وأخرى الأم تنفزعُ

نجم به الأرض قد أضحت سما أبدًا

يبقى ونجم الدجى من فجره الودعُ

الأرض عطشى وكم ساق بصيغته

من حر نزفك ما تستحبب الصيغُ

الروح عندك قد أرخصت سلعتها

ما بعت بيعًا تساوي سعره السلعُ

قد قال جرحك ملء الأرض

صرخته

هذا ترابي بخل الروح ينتقعُ

وقعت اسمك في شمس الفخار فما

أثناك لحظًا وإن جاء الأذى البشعُ

سافرت في قارب الأكفان شاطئها

مرسى النعيم بحور العين ينتجعُ

على الضريح قلوب الأهل طائرة

تمشي بدمع على باقاته وجعُ

يبنى الضريح من الأحجار تقذفها

درعًا تظل أمام الحقد تمتنعُ

إن العدى لا تنام الليل أعينهم

خوفًا من القبر قبل البعث ينصدعُ

من كف جودك ما الأمطار عاجزة

تروي شعوبًا بغيث العرق تبتدعُ

فوحت عطرك فالآفاق تنشقه

فوحت مسكًا لجسم الكون يصطنعُ

لا زلت في مهجه الذكرى يقطّعها

شوق إليك كما النيران تتدلعُ

مصر

من أرض مصرَ أرى العروبة تولدُ
من ألف نيلٍ بالبشائر ترفدُ
مَن قالها "هذي الشعوب عواقر"
مصر الجواب وللظنون تفنِّدُ
أم الدُّنا لا زلت قبّة مجدها
والنيل يفخر في حنانك يوجدُ
كم قد أقمتِ على العصور
حضارة
كل الفنون تجيء فنَّك تسجدُ
إن المنابر والكنائس كلها
رمز الحضارة بالحضارة تصعدُ
طيّات أرضك كالكتاب صحائف

في قلبها أخبار قوم تسردُ

أصبحت حجّ الزائرين لمتعة

كالطير من حول (الصّفا) تتردّدُ

من قبل آلاف السنين تحنّطت

أجساد خلق في ثراك توسدُ

يا نيل لو أنت المحابر ريشتي

في مصر حبرك من قليل ينفدُ

يا ثورة الأحرار مصر مصيرها

من قبضه الأشراف سوف يحدّدُ

هبّت جموعٌ كي تطيح بظالمٍ

من كل إحساس بها يتجرّدُ

ميدان تحرير يموج بهبّةٍ

تغلي لهيبًا حارقًا لا يخمدُ

ما كنت مصر الشرق محضَ

حكاية

بل أنت فجر في الألى يتجدّدُ

يا مصر فضلك في العروبة عارمٌ

تبًّا لمن ينفِي ومَن قد يجحدُ

(الويس) قد ذاق المهانة لاعقًا

وفلولُ غزوٍ في الكنانة تشردُ

قد سار جيشكِ للقناة محررًا

سيناءَ من ناب الغزاة ويصمدُ

الجيش جيشك بالوفاء مدججٌ

إن السلاح من الوفاء يسدّدُ

أنجبتِ أكفاءً لنصرة أمّةٍ

أنباء (جالوت) بفضلك تحمدُ

أوقفتِ غزوًا للتّتار مدمِّرًا

ما قام سور أو سياج يرصدُ

يا أخت غزة والمصائب جمّة

أنت المعين إذا القلوب تنكّدُ

سدّوا عليها بالسدود جريمة

والدامياتُ جراحها تتعدّدُ

سدّوا عليها كي تموت مجاعةً

والثاكلات بمصرنا تستنجدُ

يا مصر لولا الخائنين شعوبهم

ما صال أفعى في العراق يعربدُ

هل بعد إسقاط العراق خيانة

أذناب أمريكا بها تتوحّدُ

يا مصر، يا أهرام نصر شامخٍ

لا تهرم الأهرام أو تتهددُ

كم فيك من أهل العلوم نوابغٌ

كم فيك من شيخ تُقىً يتعبّدُ

ونسجتِ من غزل المشاعر شاعرًا

(شوقي) أمير للقريض يمجّدُ

أنشأت مدرسةً لتدرسَ ثورةٌ

الثائرون مدى الزمان تجدّدوا

في طاقم التدريس ألف مناضل

أمثال (جيفارا) ومن يتخلّدُ

وكتابهم خطٌّ الدماء يزينهُ

من شعر (نيرودا) ومن يتمرّدُ

يرتج فكر الحاقدين وعرشهم

وزئير صوتكِ في سماء يرعدُ

قطّعتِ أيدي الخائنين وحبلها

عن جيد شعب للحياة يغرّدُ

قد عدتِ شمسًا في النفوس طلوعها

ونشرت ضوءًا، فالظلام يبدّدُ

على جدول الطمأنينة

"إذا الشعب يومًا أراد الحياةْ"
سيفني طغامًا ويُفني غزاةْ
يشقّ طريقًا بدرب الحصار
وينحت روحًا بصخر المماتْ
يصير لهيبًا لتحيا بلاد
وتسقط أصنام طينٍ رفاتْ
هنيئًا لشعبٍ عظيم يثور
فيصنع مجدًا يضجّ الرواةْ
هنيئًا لشعب أفاق الشعوب
يعزّ كرامًا، يهين البغاةْ
يمل خطابًا قليل النفير
كثير وعود لأجل الحفاةْ
رسول عقاب لـ (فرعون) عِندٌ
بأن قريبًا تحين الوفاةْ

وأن الشعوب سلاح نجيع

يفتُّ جبالاً كفتِّ الفتاتْ

وفاءً لقتلى تعالى الرصاص

يهز غزيرًا عروش الطغاةْ

قبور الضحايا ستبقى تُزار

ويبقى غناء الشفاه الأباةْ

غصون الثمار لحرِّ سيوف

وقنبلة من شظايا الحصاةْ

ستفتح بابَ الفضاء الجموع

ويسجن طاغٍ ويهوي جناةْ

نجوم الفداء بليلٍ تلوح

تظل دليلاً لباغي النجاةْ

لكل زمانٍ شعوب تهبّ

وفيه لأهل النضال نواةْ

"إذا الشعب يومًا أراد الحياةْ"

ستأتي لهذي الحياة حياةْ

دروب الحياة

"كفى بك داءً أن ترى الموت شافيَا"

فهذي دروب العيش ترمي الدواهيَا

أغارت على المرء المنايا كأنها

كلاب تظن الأسد فيها خوافيَا

أرى الدهر لصًّا بالسلاح ملثمًّا

يصول بلا قلب، يعد بواكيَا

فأصبحت من كثر العداة مشككًا

بكل صريح أن يكنّ عدائيَا

أناس يعدّون المخازي كريمة

وما يكرم الإنسان عدوّ مخازيَا

دماء من الغدر غذّت دماءهم

فحسبي بما ذقت الخيانة كافيَا

ووجهي بكف الدهر يصفع خده

كأني أسير الدهر اربط

حافيَا

تظن جميل القول يصدق قوله

فيأتيك قبحًا ما ظننت منافيَا

إذا المرء لم يعرف حقيقة نفسه

فليس دواءٌ للجهالة شافيَا

"كفى بك داءً أن ترى الموت شافيَا"

يشد على الأعناق حبل رواسيَا

الألم

أدمى مقالي ما قسَا الألم
فغدَا دمًا ما يكتب القلمُ
ألمي على الأعيان مارده
إن كان يخفي ستره العتمُ
للناس الآلام بها فرج
غير التي عندي بها نقمُ
هذي السلاسل من لهيب أسى
ثقل الحديد وشكلها رزمُ
إن الطريق عليّ سائرة
تمشي على خط وتلتزمُ
أصبحت للآلام ملتجأ
مثل الشريد يلمه الحرمُ

إن يطرد الآلام طاردها

حطت بجوف القلب تلتحمُ

إن الغرابة دون داهية

يوم يمر وماله رقمُ

يجتاحني جيش الخطوب كما

تجتاح زرعًا سائبًا غنمُ

أصواتها للسمع قارعة

إن أمكنت مني لها نهمُ

قد أقسمت ما أقسمت ويمينها

منع الفراق فحقق القسمُ

قد مات إحساسي فلا وجع

إن هز شريان هو النغمُ

شذّت همومي ما انتهت أبدًا

فالمنتهى للأمر يختتمُ

وتخاصمت نحوي الهموم كما

خلقٌ على الخيرات تختصمُ

قذف الزمان علي صاعقة

من حيثما قد سرت ارتطمُ

حمل السرور وكم أراقبه

عند الولادة شانه العقمُ

إن كان ميلاد لتاسعة

وجه الجنين أزاحه الألمُ

عضت كلاب الدهر قافلتي

وانسل يمسك حبلها القزمُ

وتراكمت فوقي محاجره

فالصوت إن ناديت ينكتمُ

اعتدت مرّ الكأس أشربها

إذ لست دون المر انسجمُ

هادنتُ آلامي أصالحها

بالصلح إن الحرب تتحسمُ

شبابُ اليوم

حاولت صمتًا فهز السخط أشعاري
حتى صرخت وهذا القول إنذاري
ما كنت ممن يرى ضيمًا يباركه
إني أثور على الأوصاب كالنارِ
إني أغار على الأوطان محترقًا
من وقع ذل بأقطارٍ وأمصارِ
ولست أرضى بنقد غير منتقد
نفسي، وأثني على نقدٍ لأوزاري
على الشباب حنايا الصدر باكيةٌ
إذ هم بجرفٍ عميق الغور منهارِ
إن البناء على أيدي الشباب علا
لا يحمل البيت من أجزاء فخّارِ

انظر جموعًا على الأوهام سائرة

مثل السكارى على أنغام مزمارِ

ساروا على شارع من خلف سيدةٍ

ليسوا ب (قيسٍ) إذا يهوى و(بشارِ)

جزّوا الرؤوس بأشكال مشنّعة

جزّ الرعاة لأصواف وأوبارِ

ولوّنوها بأصباغٍ تلمعها

حتى بدتْ مثل أعشاش لأطيارِ

بانت سراويلهم من تحت ألبسة

كأنها في مزاد البائع الشاري

إن الأثافي بهذا الأمر ثالثة

بعضٌ تحلّوا بأقراط وأسوارِ

والكل يعشق ناد راح يعبده

هذا ريال فتشجيع بأضرارِ

لا علم إلا بنقّال ومركبة

يلهون فيها كأطفال بأحجارِ

هذي جيوش لغير الحرب جائشة

لا بل تولّي بأعقاب وأدبارِ

إنا رمينا بمحتل معاتبنا

حتى ولو كان طعّامًا بإكثارِ

يا موطني ألف محتل تكابده

من ألف ضعف ومن آلاف أعذارِ

نبع المروءة إن جفّت موارده

من أين نأتي لأتراب بثوارِ

يا للشباب تفانى عندهم أمل

لا فوز إلا لمن يعلو بإصرارِ

يا للشباب كما الأيتام ضيعتهم

خفّت موازينهم من تحت أصفارِ

مثل السكارى وكأس الجهل مسكرهم

إن الجهالة حرب دون إظهارِ

حاولت صمتًا فهز السخط أشعاري

حتى صرخت وهذا القول إنذاري

المحامي

باع المحامي مهنته لم تبق إلا بدلتهْ
تدعوه يأتي حاملاً مثل الوزير حقيبتهْ
وتظن أمرك همّه يدعوك تحضر مكتبهْ
فهناك آنسة له والدرع يبرق هيبتهْ
علم القضاء منوعًا يحكي خيالاً حكمتهْ
ويهز يفهم رأسه فالأمر يملأ جيبتهْ
ويقوم يطلب بصمة فالختم يضمن غلتهْ
ويقول من بعد اعطني ويكاد يزأر زأرتهْ
تصطك منك نيوبه فلقد رآك فريستهْ
ويروح يهدم قرية يعلي بذاك عمارتهْ
إن المحامي حاكم باع اللصوص قضيتهْ
شأن الضمير خرافة يلقي القمامة قيمتهْ

إن المحامي جائع والمال يحسب أكلتهْ
القدس مرتعه بها كنز فيرسم قبلتهْ
ظن الجبال خزينة قد راح يضرب كرشتهْ
يستل قوت ضعافنا إذ كيف يطعم طفلته
متعبد في ليله ويرى المحاكم جنتهْ
إن تاب ذئب في الفلا فلسوف يعلن توبتهْ
باع المحامي مهنته لم تبق إلا بدلتهْ

جيوش المصائب

كيف الملاذ إذا رأيت مصائبَا
يضرّبنني ضرب الجيوش كتائبَا
قيدنني في الأرض قيدًا ثابتًا
وإذا نظرت رأيتهن سحائبَا
ينهشنني نهش الذئاب لظبيةٍ
وضعيف طير لا يكف عصائبَا
قوسان أضرب منهما بمصائب
قوس العدى أو من أراه مصاحبَا
أصبحت أعرف صحبتي وعديدهم
كثر كحب الثلج ماءً ذائبَا
إلا قليل بالوفاء تجملوا
بعد العطاء رموا علي مثالبَا

أُسدًا أرى دون الخطوب تجمعت

وإذا استغثت بهم رأيت ثعالبَا

وحبيبة خفق الفؤاد لحبها

ألوت بجيد كي تراني ناحبَا

وتبسمت مني تبسم ساخر

لما رأتني بالصبابة شاحبَا

ما خنت عهدًا بيننا حتى بدا

لي من خفايا النفس حبًّا كاذبَا

إن جاءني شبح السعادة قادمًا

خوف الأسى وجدت فيه مخالبَا

والأرض واسعة يضيق رحابها

قبرًا عليّ مشارقًا ومغاربَا

قد أظهر الدهر الخؤون عداوة

وأذاقني طعم المنون تجاربَا

كم سرت فيه على البلاء مسالمًا

فوجدته جمع السيوف محاربَا

حتى غدوت كشاربٍ ثمل يرى

سهل الحياة مصاعبًا ومتاعبًا

فاليوم ينضب للشباب نضاره

والشيب يضرب للسواد ذوائبًا

إلى ثائر عربي

أنت الجدير بأن تثورْ
اخلعْ زمانك إذ يضاجعه الفجورْ
احرقْ أفاعي الإنس تكمن في الجحورْ
أنت الجدير بأن تثور

اغرقْ فأنت البحر يلتهم البحورْ
جبرْ عظام النصر تنكسر الكسورْ
أنت الجدير بأن تثورْ

أهمل جراحك لا تخف جرحًا يغورْ
اعدمْ رقاب الخوف في ليل القبورْ
أنت الجدير بأن تثورْ

احضنْ سلاحك بالأصابع والصدورْ
عبرْ بألفاظ البنادق عن شعورْ
أنت الجدير بأن تثورْ

اسقطْ وجوهًا للمساوئ والشرورْ
أطبق على عبدٍ يقاتل بالأجور
أنت الجدير بأن تثورْ

دافعْ عن الأجيال ينكرها المصيرْ
دافعْ عن الأعراض يهتكها الحقيرْ
أنت الجدير بأن تثورْ

امسحْ دموع الطفل سيلها الفجورْ
اقطعْ خطوط النفط تنقطع"الهمور"
أنت الجدير بأن تثور

اقطعْ رؤوس الشر دوخها الغرورْ

أسرج خيول البرق تتصعقِ الصخورْ
أنت الجدير بأن تثورْ

قاومْ من الخضرا إلى صنعا وفي سينا وصورْ
قاومْ فكل الأرض تبصرها ثغورْ
أنت الجدير بأن تثورْ

اهدمْ ركام الشوك واصنع ما يروقك من زهورْ
اجلدْ جلود الذل ينزجر الهصورْ
أنت الجدير بأن تثورْ

اجعلْ رغيف الشمس زادك والفطورْ
جابهْ ببرّ أو ببحر ثمّ حلق كالصقورْ
أنت الجدير بأن تثورْ

رد الحمى أحفظ "عروبتك الجذور"
فلتفهمِ الأقوام معنى أن تثورْ

أنت الجدير بأن تثورْ

قاتل فبدر النصر يضحك من سرورْ
حارب وإن طال المدى يوم النشورْ
أنت الجدير بأن تثور
أنت الجدير بان تثور

القدس في خطر

نداء.. نداء
ملء الفضاء
صراخ...
هتاف...
خطاب...
أو دعاء.

القدس في خطر
كل العواصم رددت
عنوانها
أخبارها
أحداثها
أحزانها

في الشوارع
في المساجد
في الكنائس
في المدارس
في الملاهي
والمقاهي.

القدس في خطر
قد نبشت أجداثها
وبعثرت أحجارها
لم يبق حجر على حجر
سوى حفر على حفر
نهوي عميقًا.. عميقًا
في الحفر
و دفاعنا.

القدس في خطر

بعنا التراب بيع مستعجل
لا فرق عنده ربح البيع
أم خسر.

القدس في خطر
طعناها بخنجر لأبي لؤلؤة
ومشينا بموكب التشييع
نهمس باللوم في أذن القدر
قد أجمع الحكام لا قدس تعنينا
و دعوا الرب يحمي البيت
من سوء ومن ضرر
فهذا الجيش جرار العبر
إن تبصروا النيران تحرقها
فقولوا بغض النظر
هذا غبار أو مطر
لا اعتراض على قضاء أو قدر
أو رحيل أو سفر

ناموا وقوموا

إن تفطنوا

القدس في خطر... القدس في خطر!

أسره في الأسر

في ليلةٍ
من ليالي الربيعِ الجميل
وفي إحدى قرانا
من جانبِ الوطن الجريح
تهوي نجومٌ
وتعلو نجوم
على أسره منكوبةٍ
ليل يهاجمُ في الظلام النائمينْ
تدججهُ المدافعُ والقنابلُ والمخاوفُ
والعيونْ
وكلاب تدربها على السعارِ الكلاب
ووجوه تقنعها ملابس الأحقاد
كالأشباح

أسراب من الغربان تنعقُ بالخرابَ
على سطح منزل هو "غرفتان وحمام بسيطْ"
فيفزع من غزوةِ الأحزاب
طفلٌ صغير
ليهمسَ منكمشَ الأوصالِ
أماه... أماه ... أماه
يهاجمُنا الجنود
لا.. لا تخف يا بنيْ
فليسَ إلا أنا وأنت هنا
وأنتَ يا بنيّ بعدُ صغير
وأبوك من خمسةِ أعوام شهيد
وأخوك في الأسر منذ عشرةٍ أو تزيد
أماه خوفي على أختي فلسطينَ
صبرًا صغيري فأمسِ اعتقلوها من جديدْ
الآنَ باب البيتِ يهوي
فما عاد يقوى على الصمودْ
يتدافعونَ كما القطيعِ أهملهُ العبيدْ

ليكبلوا أيدي الصغيرِ بالسلاسل والقيودْ

وصراخُ ضابطِهم اعصبوا عينيهِ

بمنديلِ الأم وآلامٌ أيضًا للقيود

خذوني... خذوني

واتركوا أمي

كي تضعَ القمحَ لزوج الحمام

اتركوا أمي

اتركوا أمي

هكذا توارى في غياهبِ الليل

نداء الصغير

نداء الصغير

في غرفةِ التحقيق

"السجن"

بأسبابٍ ولا أسباب، أنت الآن لا تسأل كيف، ولم، ومتى؟ في غرفه التحقيق أمامَ ضابط عصبي المزاج؛ فورًا أوامره الجلوس، فتجلس، فيصرخ فيك: هيا قف.. فتقف. فيصرخ مرّة أخرى لتجلس، فهو لا يقصد الجلوس ولا الوقوف، بل الأمرَ ما بينَ الوقوف والجلوسِ. لكنّ ضابطَ التحقيق لم يعدْ يدري ما يريد، ففكره مشغولٌ بتسديد القروض، أو ربما بأمر زوجته؛ من فترة يشك في خيانتها له.

"أيا سيء الحظ"، إن كان بالخيانة مقتنعًا، فتلك الصفعة الأولى، وماذا فعلت في صمت تقول؟ وما سموك من سموك من؟ وكم ملكت يمينك؟ وكم ملكت جيوبك في البنوك؟ وأسئلة عن التاريخ تسأل، وجغرافية الشوارع والبيوت، وتواريخ الولادة والنهاية، والسلوك، وأسئلة بلا

إجابات ستأتيك، وأسئلة كبرنامج- لا ليست لمن يربح المليون، لا، بل من ستخسر في الإجابة أمك، أم أباك، أم أخاك، وإن لم يكن فلتخسر صديقًا، فتغرق في الإجابة والجماعة يرقبونك كالذئاب، ثم السلاسل قيدوك وربطوك، ولسيارة الأمن التي تبدو كلون الضبع المرقط يدفعونك باحتقار، وقعقعة السلاح بها كأحشائه من بعد طول تجوال في الفيافي بها جوع قديم، فلا تنس في بطنها تسبيحًا كتسبيح الخلاص ببطن حوت، ونحو السجن تسرع في الطريق، فتحمل مثل الثمين الذي تحمله اللصوص، تبقى منه شيء، وشيء يسقط في الدروب، فتدخل بوابه القبر الكبير على بابه ليست ملائكة الرحمن، بل شرطي بشكل غريب عجيب كتمثال حجري تقاذفته يد الطبيعة منذ آلاف السنين عليه إشارات "على وجهه"، ورموز، وطلاسم، ولكنه هنا بدون معنى تاريخي، أو حضاري، أو ديني، يفتش كل شيء مثل دجاجه تنقر في تراب الأرض بحثًا عن حبة قمح صغيرة، أو كقط حاذق بأكوام القمامة يدري بأن القاع فيه دهن سمين.

في السجن ضوءُ الشمس ممتنع الدخول سوى أملٍ يطلُّ كما شمس لا تزول، وهناك الحياةُ متسللةٌ بشكلٍ غير قانوني، وتمارس بعض حقوقها بشكل مطلق السرية، والحراسُ يؤدونَ واجباتِهم تمامًا، كمثلِ انقلابٍ عسكري يريدون كل شيء بسرعة فائقة وحذرٍ شديد.

جيش من هلع يقتحم جيوش السجانين، يصور (سعد بن معاذ) في جيش حول (الباستيل)..

في السجن تقتلع الأظافر والعظام في هجمة البحث عن بئر أسرار خفي..

في السجن مجزرة بدون دماء، لأن الدم قد تحول من السيلان إلى الصلابة..

على الجدران أمثله منحوتة بأصابع اليد، حكم وأبيات من الشعر: "إذا الشعب يومًا أراد الحياة"، ورسومات لأشجار صبار وزيتون، وذكريات حب، وآيات من القران الكريم، وأسماء لمعتقلين توحي بأن شعبًا كاملاً قد اعتقل..

علب السجائر سعرها أغلى من الذهب المصفى في سوق مزدحم، وكبسولةٌ فيها دواء لكل داءٍ أو عليل..

روائح مثل الكراهة ساعة الظهر الحرور، وماء الشرب يبدو سرابًا من فم الوعد المصحر بالجفاف..

صيامٌ بلا فطور، وليلٌ بلا هلال، وجرثومةٌ السجنِ بأجنحةٍ تطير، وجنديةٌ ذات وجههٍ جميلٍ بينها وبينه حاجز نفسي طويل كجدارٍ الفصل العنصري مطعونةٌ بخناجر الاكتئاب بسب ظروف العمل، تلهو بهاتفٍ نقال تشاهدُ صورًا لسجن أبي غريب..

في السجن كل جميل قبيح، وخارجه كل قبيح جميل، وفيه وردة مزروعة "قيد الاعتقال"، تتسلق الجدران ترتقب الهروب أو على الأقل حصولها على جرعة الضوء التي تكفي للبقاء على قيد الحياة، ونوافذ السجن- إن وجدت- كفوهات البنادق في صفوف، ويحتاج الهواء إلى زناد ليقذفه إلى مجرى الأنوف..

كبلاطه الموتى أسره للنوم مصنوعة من الإسمنت، عليك أن تختار على أي جنب تريد النوم، لأن الانقلاب على الفراش هناك أمر مستحيل..

عند الصباح محكمةه ولائحة اتهام بها عشرات البنود، آخرها بأي حقّ أنت تحيا في البلاد، وبأي حقّ أنت تتنشق الهواء، وبأي حق شربتَ شايك من شرفة تطل على معسكر للجيش، شيدتها بدون إذن وترخيص؟

تذكرت أبا فراس، ولم أبصر حمامة أسره...

يا ليتَ صوتًا للحمام ينوحُ
ما من حمام نائحٍ فأبوحُ
يا حظَّ من سجع الحمام بسجنه
حظي كلاب في السجون تجوحُ
أأبا فراسٍ إن الغرابَ لناعق
حولي وحقد الحابسين يفوحُ
قد بدلت أيدي الزمان ثيابه
وأطل وجه لا يطاق قبيحُ
إذ أنت في قيد الإسار مكبل
زارتك من بشرى الفكاك فتوحُ
للروم خوف أن يمسّك عارض

فجيوش قومك في البلاد تسوحُ

ولأنت في ذاك الإسار مكرم

فالنصر يبقى والبلاء يروحُ

لو كنت تبصر ما أكابد غمّه

لعلمت أسرك كالفراش يريحُ

هل كان عندك في القيود صبية

تبكي وجند بالبذيء تصيحُ

لا أشتكي والقيد ينخر أعظمي

أو إن علت فوق الجروح قروحُ

بل إن جرحي ما أتاني زائر

قلب لأمي بالهموم ذبيحُ

إن حط طير في السجون جناحه

فلأجل تقبيل الرجال يطيحُ

أأبا فراس إن الديار سجينة

ضاقت علينا والفضاء فسيحُ

نكبة

أنياب النكبة تكبر
في الذكرى الثالثة والستين
الجرح المفتوح
بدون كساء
بدون غطاء
في وجه الشمس
وفي وجه الريح
يقطر شعبًا
يقطر أرضًا
يعصر أهوال المأساة
يعصر ليمون القلب الأصفر
كالعام الأول هذا العام
الرايات السوداء ترفرف

والأثواب السوداء

لم تتبدل

من فوق الأجساد

العام ككل الأعوام

القتلى أبناء القتلى

الجرحى أبناء الجرحى

مفتاح العودة

ما نبقي من نعش الأحلام

لم تختلف الأحداث

ولم تتغير

ما يتغير لون شعري

في الوعد المسموم

يفقس بيض الأفعى "البلفوري"

يحمل علب الأكل الفاسد

يحمل بطانية صيف

لشتاء لاسع

يحمل دمية حقد

للطفل الباحث في الأنقاض

جلد الزيتون تجعد

والصبر بكرم الأجداد

يشنق من مقصلة الانتظار

النكبة تكبر

من بيت يهدم

إلى آخر يؤسر

سيف القربى يشهر

عنترة الليبي تجبر

دمشق بزئير تنحر

اجلس في دائرة الموت

أوزع شِعري

أوزع شَعري

أوزع جسمي

أوزع قلبي

كي أحضر كل العزاء الدائر

في القدس وبغداد

ودرعا ومصراتة
تذوب مشاعري
من جحيم الهم العربي
أنثر حبيبات الحروف
في مساحة المجزرة الواسعة
لا أعرف مَن أدفن في قلبي؟
أو هل قلبي لم يدفن بعد؟
للنكبة تاريخ
ينهشنا، يأكل من لحم الأحياء
أصبحنا سكارى
من شرب النكبات
نرقص إذ نرقص
من كثر الصدمات
للمأتم بيت ثابت
للقهوة المرّة أكثر
استهلاك عندنا
الحقل

الملعب

الشارع

الحارة

المسجد

الكنيسة

المقهى

المدرسة

(مثلثات للموت)

لجدار يبنى...

نبني جدران الكلمات

وجدرَان الثرثرة الكبرى

نشرب حسرة نكبتنا

بالأفواه

بالآذان

بالأعين

نشرب كالإسفنج الموت

ونخزنه كغذاء النمل أو النخل

جلد يكسو عظام الناس
حلقات تذهب كي ترجع
لا يكتمل المشهد...
أو يغلق.

طيورٌ أبابيل

أسراب
أسراب...
من أطيار الجنات
أيقظها.. أفزعها
أفعى الجوع الجائع
تحملها أجنحة الحرية
فوق حقول الحب الوردي
تسكن عش الشمس
ترمي أحجار التحرير
من سجيل
ترجم أبرهة الماضي
والحاضر والمستقبل
أبرهة المتحجر

المتمسمر في عين الشعب

تسمع دعوتها

أرجاء المعمورة

أبرهة الأكبر

يهدم كل شرائع الإنسانية

يأتي من فوق الفيل

ومن فوق الخيل

من فوق المدفع

من فوق الأرض

أبرهة الطاعن في جمع المال

كالجنّ

يحرسه

يرصده

يتنفس.. يأكل.. يشرب

يعبد.. يبني

أوراق الدولار

هذا الغضب القادم

كالنيل

كالبحر الأحمر

يحمل أسماء الحزن البشري

في كفيه

مرآه يحملها

للشعوب

كي تبصر أثر السوط

وتبصر صمت الصوت القاتل

هذا الغضب القادم

يمسك جرح الأرض

كباقة ورد

يجعل قبرًا يهزم قصرًا

ومدفعًا وصاروخًا

الموج الكاسح من قاهرة القهر

يحمل ألوان العلم العادل

يزرع رايات الضوء

على درب الزمن المظلم

أسراب تتغذى
زهور القصائد
وموائد الإيمان
عهد ينهي عهد العجز
وعهد الرق
وعهد النوم
وعهد الوأد
يفتح باب الأمل المغلق
من يأس الفهد الأسود.

جدار العنكبوت

جدارٌ طويل بلونِ الرمادْ
تلوّى كأفعى بطول البلاد
صخور بقطع كبير
كأن الصخور جبال
بنتها أيادي ثمود وعاد
تلوى على كل شيء
من نبات وهواء وجماد
على عناقيد الدوالي
وأعشاش الطيور
يطرب لقصف الحياة
من أمام جرافة عمياء
جدار لقتل الحياة
كسيل ملوث

يقتحم المنازل والمساجد والكنائس
والحدائق والشوارع والجامعات
يسير كذئب جريح
مسيج بقضبان حديدية حمراء
كأنيابه ساعة الخطر المفترض
بغير هدى أو طريق
كسائق ثمل مراهق
لعشرين مترًا تجاه اليمين
وعشرين مثلها رجوعًا إن رأى زيتونه تجاه الشمال
وشرقًا وغربًا وتحتَ وفوقَ
إن رأى شرفة تحب النجوم
فشكله كلعبة الأفعى على شاشة النقال
أقل مسالكه اعوجاجًا
كحرف S بالإنجليزية
بأبواب قليلة لاقتحام المدائن والمخيمات
وإطلاق نيران على متظاهرين ضد الجدار
متشابكة ككلام أهل الصين

جدار من النار يحمي الجدار
كاميرات وأبراج إنذار
طرق ترابية تمعن في الحصار
إشارات تحذير لرعاة وعمال
ومتضامنين من أهل الأرض
جنود يراقبون نسمة من هواء
وهبة من إعصار
بعيد عن فنون الحضارة والعمارة والبناء
نتاج المخاوف والمطامع والجلاء
سريع الانتشار كداء جديد
كأن أمر بنائه فرض بأسطر التلمود
ضعيف كخط بارليف
بيت عنكبوت قديم
سنرسم عليه سور القدس
وسور عكا
ليرى كم هو قبيح في المرايا
وكم هو حقير في النوايا

وكم هو صغير في المزايا

وإنه ليس رسمًا كبيرًا

وليس نصبًا شهيرًا

كتمثال مارس

رمادي وليس من فضة كتمثال يرماك

وليس من رخام

وليس مدينة تاريخيه كرومية وسورها

بل كومة من غبار

ستذروه الرياح

ولن يبقى له هيكل عظمي

ليفحصه علماء الآثار

شبح ميت من خيال

سنرسم عليه صورًا لأبطال وثوار

قادوا الشعوب لثورات تحرير

على مر العصور والأزمان

كالقادة وعمر المختار وجيفارا ولوركا ومنديلا....

وملحمة شعب عظيم

وطفل يوقف دبابة بحجر

وحمامة تبحث عن روزنة

وقصه لعاشقين تبادلا رسائل الحب رغم ضيق الشقوق

وصورة لذئب برأس مستوطن

ومستوطن برأس ذئب أو بدون رأس

ستصفعه عروق الزهور

وأدوار الفصول

ستلعنه الجبال

وتقذفه السهول

ليهوي

كجدار برلين

ولتهوي معه حروف دائه من جسم القصيدة...

ليهوي كجدار برلين.

على الحاجز عامل

على الحاجز العسكري يطارد
الجند عاملاً مسلحًا
يأمرونه بالتوقف، فلا يتوقف
يأمرونه أن يلقي سلاحه، فيرفض
ثم يشرعون بمطاردته
بعد كيلو متر أو اثنين أو ثلاثة
ينجحون في القبض عليه
يطرحونه أرضًا
ويعرونه من ثيابه
يبعدونه من سلاحه
ثم تأتي طواقم الإسعاف والشرطة والطائرات
وخبراء المتفجرات
يفحصون السلاح

الذي تبين أنه رغيف من الخبز
ورأس لا ندري هو من البصل أو الثوم
على خبير المتفجرات أن يحدد نوعية الرأس
بصل أو ثوم
وقد يخطئ
وقد يكون حبة بندورة
أو لا شيء
سوى الرغيف.

لص غريب

في بيتنا لص غريب
تسلل في الضباب
من غير إذن أو حقوق
ومن جحر تلوى في السرير
وفي الفراش
لص غريب
كشوك الرمل يصلبه الجفاف
تفوح منه رائحة كريهة
لم يغتسل من عامين أو أكثر
"وغريب بها مسك قليل"
من أثر القتيل
له سمات من الإنسان والحيوان
ومن الجماد
وله ظل ثقيل

يبول من شرفة تكشف الجيران
يمد سلالم الأوهام كي يرقى السماء
إلى الجنان
يصلي بلا ركوع أو سجود أو خشوع
بغير اتجاه
في بيتنا لص غريب
يسرق التاريخ والأشياء
كالطابون والمحراث والزيتون والصبار والسجاد
والبيضة الجوفاء
والدجاجة العرجاء
وحتى العنزة الجرباء
في بيتنا لص يلم لصوصًا تائهين
أتوا من بلاد بعيدة
لم يروا فيها ترابًا
كي يقولوا لنا:
ارحلوا من أرضنا أيها الغرباء
أيها الغرباء.

شهيد بدون تأبي

في مناطق متعددة من الوطن
شهيد على غير العادة
بدون مراسيم تأبينية
بدون أكاليل من الغار
بدون أعلام وطنية
بدون زغاريد النسوة
بدون طلقات التحية
بدون شعارات نارية
سوى شعار الانتقام
كل هذا لسبب واحد
إن القاتل نسي أن يخلع عباءة القبيلة
وبلبس الزي العسكري الإسرائيلي
أو الأمريكي
فالقتل جائز
شريطة عدم لبس البزة الإسرائيلية أو الأمريكية
والتأبين لا يجوز إلا بذلك.

غزليّات

يا أجمل الناس

عشقت من أجلك الأشعار والأدبا
عشقت يا للهوى قد هزني عجبَا
قد هزني منك طيف لا أقاومه
يا أجمل الناس أخلاقا ومصطحبَا
كم مسني منك جرح لا يطببه
طب الطبيب ولا رقيا له جلبَا
فيك الجمال الذي يلقى مكابده
طعم المنايا كطعم الشهد إن شربَا
شربت كل الأسى والخمر أشربها
كي تنسني خمر هذا الحب ما سلبَا
شيعت حبك لو أن الفؤاد له
صبر لنار الهوى كي يطفئ اللهبَا

لكنه منك مسحور ينازعني
يستل مني هدوء العيش والطربَا
أصبحت في الأسر لا سجان يأسرني
إلا العيون التي تستبرق الذهبَا
كم أشغل الناس أموال تنعمهم
إن النعيم إذا أسقى الهوى رطبَا
عجبت للنفس والأهوال تضربها
ترنو لعشق يزيد الهم والتعبَا
يا نفس أي هموم لا تطاردني
أبيت حيران لا أدري لها عقبَا
يا نفس كم مطمح قد رحت أطلبه
رأي الحياة أبى أن أدرك الطلبَا
فالقلب هاوٍ جمالاً لا مثيل له
في الإنس وجهًا وذوقًا يشبه القصبَا
الجسم كالرمح لا تبدي مفاتنه
والشعر كالمعدن الغالي إذا انسكبَا

والوجه كالبدر إذ يسبيك مطلعه

من رقه الحسن يشفي يائسًا غضبَا

أهديك وردًا وهذا الشعر حلته

ما قلت في الحب إلا الصدق لا كذبَا

أشغلتني عن أمور العيش قاطبة

أنت المنى لا أريد الجاه واللقبَا

فللآن هيا اجمعي شمل الحبيب فما

جدوى القوافي إذا درب الهوى صعبَا

بانت عندم

إني صعقت غداة بانت عندمُ
فالجسم محترق بنار تضرمُ
فغدوت من قيد الجمال معذبًا
ووجدت قلبي من هواها يخرمُ
أيقنت أني لا محالة غارق
في بحر حب هائج أتأثمُ
ويكاد يقتلني جمال قاتل
ويشدني من سحر حبّ طلسمُ
إني صبور في الشدائد كلها
أين التجلد إن أطلت عندمُ
قد كان حبي قبل حبك عابرًا
حتى أتاني من عيونك مغرمُ
وتفجرت بين الضلوع مشاعري
وأبيت ليلي بالدموع وأحلمُ

يا عندم القدس الجميل ونبته

القدس منك معطر يترنمُ

شمسان في عليائه فمصاحب

الشمسين يبقى مشرقًا لا يظلمُ

شبهتها بالشمس لا أدري لِما

فشبيهها شيء خفي مبهمُ

والثغر من شهد الحياة مرطب

ويبين منه الدر لما يبسمُ

والشعر مثل الليل يضرب جنبه

فجر تهادى بالسبائك يقدمُ

وعلى القوام رشاقة فكأنها

أغصان ورد للسقيم تسلمُ

تمشي ففي ثقة تراها مثلما

يمشي مليك بالحفاوة يخدم

إن كان يلزم للجمال بلاغة

فلقد يضيق بوصف عندم معجمُ

رحماكِ

إني وإن طال النوى أهواكِ
ويظل شأوي في الحياة رضاكِ
طورًا أراني بالدموع مخضبًا
وأعود طورًا باسمًا ألقاكِ
وأرى ضياء الكون أسود حالكًا
حتى يطل على الوجود سناكِ
لو كنت تلقين الذي ألقى لما
نامت وإن جاء الكرى عيناكِ
وضربت سهمك في النخاع
وقوعه
ما راعك المذبوح ما أقساكِ
ورميت في عرض البحار
بعاشق

لو كنت في قاع البحار أتاكِ

إني لصب مدنف ومتيم

وميتم قرب الأبوة شاكي

من ذا الذي يهوى حبيبًا معرضًا

عن حبه هذا أنا إياكِ

أفهل تذوقين الهوى إذ ذقته

مرًّا وحلوًا لا أراه دهاكِ

أغرقتني بالهجر يخنق مأملي

هل غير شخصي بالهوى أغراكِ

ما كنت مقترفًا ذنوبًا جمة

حتى أقول حبيبتي رحماكِ

لكن ذنبي أن حبك قاتلي

وأراك من بين الأنام أراكِ

سهام حبيب

سهام حبيب في الضلوع نوازلُ
لهن عناء إذ نزلن يطاولُ
فإن يدرأ السهم القتول مقاتل
فأي دروع للعيون تقابلُ
أقول أنا المهزوم منك حبيبتي
سريعًا وللمهزوم تبدو دلائلُ
شحوب ودمع وافتقاد بصيرة
وإرخاء أطراف كأني خاملُ
وأشياء لا يدري الشعور بها ولا
عصارة فكر للوصول تحاولُ
إذا ذقت منك العذاب فإنه
مذاق شفاء كالدواء يماثلُ

جمالك فتّاك الرماية قاتل
إن لم تكن فوق الزناد الأناملُ
ففي كل عضو قد ملكت مفاتنا
وشعرك شلال في ربوعيّ نازلُ
ووجهك إجماع الجمال ورمزه
وثغرك شهد بالحلاوة سائلُ
عليك نظام العقد مؤتلق الرؤى
فجلدك في كل المعادن فاعلُ
أغار وذا العقد منك منعم
فيا ليتني عقد وجيدك حاملُ
فما لي عدو في هواك منازع
سواه فقلبي من حليك جافلُ
حشدت من الألفاظ كل عبارة
هوت فعلاها من قوامك كاحلُ
فعادت على الأدبار تجري
هزيمة

وحصنك منصور وحسنك كاملُ

فكم من جمال للذئاب موزع

وبينك والشمس المضيئة حائلُ

جمعت حضارات العصور

جميعها

فأنت معين للحضارة شاملُ

ملكت عقول العالمين فمنهمُ

معافى إذا ما شئت يسلب عاقلُ

وجدتك بحرًا في الجمال مموجًا

غرقت فهل يومًا يلوّح ساحلُ

جعلتِ فؤادي

جعلت فؤادي من فراقك يذبلُ
فقد كان وردًا من جمالك ينهلُ
قطعت وريد الحب كيف قطعته؟
فإني جريح لا دماء تغسلُ
عشقتك أعوامًا تعدّ قصيرة
ولكنها تسري بعظم وتنحِلُ
أعاني شعورًا من تجاهك قاتلاً
وحقًّا أرى أن المشاعر تقتلُ
وما المرء إلا من شعور فعاله
فحب وكره كالبضاعة يحملُ
وما قيمة العيش الغرور وشكله
إذا لم يكن في العيش منه تغزّلُ

جعلت حروف الشعر غير
ركيكة
فكل ضروب الشعر منك تصقّلُ
وأسدلت من شعر المحبة كاتبًا
وكم من ستار بالكتابة يسدلُ
فيا لك من سحر وجدت مطلسمًا
يصيب كياني باللهيب ويشعلُ
وما فكّه خوف الكآبة عالم
به قادر عند الطلاسم يفشلُ
وما فكه حبر النصارى وقسّهم
ولا من يهود الأقدمين يعطلُ
فأنت هوائي إن تنفس خانقي
وتبقين لا مثل الهواء يبدلُ
وذكراك ذكرى للعروق تهزها
كأوتار عود بالأصابع تعملُ
تركت فؤادي في الحياة معذبًا

يكابد عيشًا إذ نأيت يجفّلُ

وهذا الذي أهداك كل ثمينة

تراها عيون الحاسدين فتذهلُ

وأهداك من جوف البطين

قصائدًا

تذيب قلوب العاشقين تجلجلُ

تحن لها عند الصباح طيوره

كأنك لحن والطيور ترتلُ

كأنك زهر في الربيع منور

وشعري عليك النحل إذ يتنقلُ

أكل حبيب للحبيبة مخلص؟!

أكل كلام في المسامع يقبلُ

وما كل من يسدي الجميل

بعاشق

ولا كل من يدني الشفاه يقبّلُ

ألا تعلمي أن الأماني عظيمها

تحيد طريق الأكرمين وترحلُ

وتمشي لركب المعطهين سريعة

تزف إليهم في الحرير وترسلُ

جعلت حياتي في الإسار

عصيبة

فبالله فكي القيد إني مكبلُ

وإن أسير القيد يومًا يحرر

ويبقى أسير الحب دهرًا يذللُ

خمور كرْمِك

قالوا: متى تتزوج؟ هل أنت لا تعشق؟ ألا يكفيك في شأن النساء التغزل، أم أنت في الحياة بمعزل تتصوف؟

قلت: إن الفؤاد أعياه البحث المطول..

قالوا: تعال ندلّك على صبية جميلة.. إننا نراها غزالة في فلاة تتدلل.

جادلوني وجادلتهم.. أقنعوني وما أقنعتهم، حتى ذهبت إلى بيت صغير مرتب.. ترحيب وشاي وقهوة وحديث يجيء وآخر يذهب، واليأس وسواس بقلبي عابث..

لن ترى ما ادعى القوم وما فصلوا، إلى أن أضاء فناء البيت ضوء يخطف الإبصار، ففزعت كحالم من ماء بارد يتلمس، وعيون من في البيت ترقبني كأنني مسلسل بالإثارة مفعم.

تلعثم فيّ اللسان.. بصعوبة سألت عن اسمها كطفل حديث الكلام يتأتئ: جيم.. وواو.. ولام.. وياء.. وألف أمدها، ليبقى فمي بمدها يتلذذ.

رجعت وقلبي أسير.. أهز جذوع الكلام.. تجف في رأسي دماء القوافي.. أردد كلامًا بدون معاني، كأني الخليفة ونفسي تردد صفير البلبل.

أأقول فيك قصيدة تتنوّع؟

أنت القصيدة والقصيدة تسمعُ

إن الكلام على البحور مقسم

كل البحور إذا رأتك ستسجعُ

البحر يجمع بالمياه شوائبَا

ومياه بحرك للنفائس تجمعُ

البحر يقتل إذ يموج بجسمه

ولموج جسمك للمنية يقمعُ

الناس تعشق للبلابل صوتها

وسماع صوتك ما أحب وأسمعُ

النحل يحسب في الشفاه غذاءه
فصفاء شهد من شفاهك ينبعُ
الخمر أرضى بالشريعة منعها
وخمور كرمك لا شريعة تمنعُ
المر منك على اللذيذ مفضلٌ
ولذيذ نبتك للنظائر يقطعُ
بالله قدك ما أقول بوصفه
إن كان قدك للوصافة يصنعُ
إني عليل لا شفاء لعلتي
من جنس دائي ما دوائي ينفعُ
باقات شعرك لو علمت بأنها
أحبال إعدامي وحبك أجرعُ
ألقيت سحرك كالشباك يلفني
فجناح روحي في شباكك
يخضع
أدمنت منك على العطور أشمها

فهواء صدري دون عطرك يرجعُ

وجميع أنواع العطور تعطرت

مما أفحت ومدمنٌ لا يقلعُ

أأقول فيك قصيده تتنوّع؟

أنت القصيدة والقصيدة تسمعُ

تهجريني .. تندمي

لا تهجريني تندمي صدقًا أقول ستعلمي
إني عشقتك قابضًا جمر الهوى في مغرمِ
لا عشق إلا ما أنا عشقي عباده مسلمِ
كم هز حبك خاطري فعل الخشوع بمحرمِ
أنت القصيدة فكرة أنت الرصيد بمعجمي
أنت الرؤى في ما أرى أنت النخاع بأعظمي
فجري وشمسي ههنا والشهد أنت بمبسمي
لا تهجريني تندمي إني لسان الملهمِ
لا تجعلي شعري بكا حتى يقال بمأتمِ
فلترحمي قلبي إذا شئت الفراق فترحمِي
إن غرّ عينك بارق عما قليل تحرمِ
كم مالك من نعمة يرمي بها بالمعصمِ

خليك في هذا الرضا هل جنتي كجهنمِ
خليك في هذا السنا إن أبرموا لا تبرمي
أمرًا يفرق شملنا فالماكرون بمضرمِ
خليك في قلبي وفي لحمي وعيني والدمِ
خوفي بأن قد تذهبي إذ تذهبي للأرقمِ
لا تهجريني تندمي لا تهجريني تندمي

أحبك يا أحلى النساء

رجعت رجوع العاشقين محببًا
يناجيك شعري فالفؤاد عليلُ
وأبكي وما للنائبات منك توجعي
إذا ما علا وقع الخطوب
عويلُ
ولكنني باكٍ دموعي غزيرة
على بعد من أهوى يحثّ رحيلُ
فليلي نهار لا أنام قليله
إذا نام في دفء الخليل خليلُ
عيونك سحر والقوام رشاقة
ووجهك بدر في الظلام دليلُ
فلو سرت في بيداء قاحلة إذًا

نما زهرها غضًّا إليك يميلُ

تقول نساء العالمين تعجبًا:

أشمسًا نرى حور الجنان تجولُ

فإن كنت في مرأى النساء عظيمةً

فماذا رجال الأرض عنك تقولُ

عشقتك من بين الأنام وحيدة

فأنت شعاع في العظام دخيلُ

أنا أصدَق العشاق فيّ طهارة

عفيف إذا لم يعف فيه ذليلُ

أنا مثل (قيس) إذ يعذبني النوى

فكوني كـ (ليلى) أو ما يحب (جميلُ)

وكم لائم في الناس منك يلومني

فمن لام في عشق العيون جهولُ

أحبك يا أحلى النساء محبة

أرى دونها كل الدماء تسيلُ

سأبقى وفيًّا في هواك متيمًا

أناديك ما نادى الغصون هديلُ

حبّ طاهر

قد قمت أنظم في هواك قوافيَا
وسهام حبك في صميم فؤاديَا
أهدي القريض وما القريض بصاحبي
لكنما أجد القريض عزائيَا
أهوى وأعشق لا ألاقي حيلة
أنجو بها أو أن أكف مصابيَا
حكّمت عقلي في أمور عصيبة
إلا هواك يشلّ فيه ذكائيَا
إني أسير في هواك مقيد
وأنا الذي يخشى الغزاة قتاليَا
قد ضاع عمري في هواك جميعه
وأضعت أهلي والصحاب ومالياَ

ما نمت يوم عرفتها في ليلة
بل كنت أسهر والنجوم حياليَا
ألتاع من نار الحبيبة باكيًا
مثل الذي يرجو الشفاء تعافيَا
وأمد طرفي للنجوم لعلها
بين النجوم أعدهن لياليَا
إني أرى (قيسًا) و(ليلى) قصتي
ولسوف يرجو العاشقون كتابيَا
بالله هل يلقى حبيب قد ذوى
ممن يحب تنكرًا وتجافيَا
بالله يا حلمي البعيد تفهمي
هذا الجمال يهز فيّ عظاميَا
ولتعلمي علم اليقين بأنني
لا أنتسيك لحيظة وثوانيَا
إني أجود عليك حبًّا سامقًا
وعلى المصلى أرتئيك أماميَا

لحظة تأمل

تأملت حبيبتي
وهي تتأمل في المرآة
فرأيت أن المرآة هي التي
تتمارى بوجه حبيبتي!

وجهك

وجهك: مع نسيج الليل النازل

نهار وليل طالعان في آن واحد.

نهداك

نهداك: ذئبان يطلان

على روضه أطفالي.

خصرك

خصرك: لفة الأفعى

لكي يسرق حضارة الماضي البعيد.

شفتاك

شفتاك: قوسان متعاكسان

بينهما سهم يبلله اللهيب.

أذناك

أذناك: دائرتان

من أمل يحولان اليأس موسيقا.

حوضك

حوضك: برعم خجول خائف

من لاشيء ومن كل شيء

ومن نسيم الهواء.

ذراعاك

ذراعاك: سياجان ورديان ممعنان

في حصاري.

أنفك

أنفك: تمثال نصر مصغر

يشمخ فوق مدائني.

خداك

خداك:بدران ملونان بريشة الحياء.

ساقاك

ساقاك: عابدان حاملان

ناظران متعبان من كثافة الجمال.

عيناك

عيناك ... هما... هما

لا أملك القدرة على التعبير عنهما.

أنت

أنت: غزالة سحريه تنط من صحني ومن كأسي...

إلى قلبي.

العشق النابت في العظم

عشقك نبتٌ
ينبت في عظمي
كالشريان.. كنخاع ثانٍ
نبت لا أبصره
بل إحساس يسري في أركاني
عشقك لحنًا في أفواه الألحان
من عينيك ابتدأت أضواء الكلمات
تأسر.. تسحر.. تزرع حبًّا
يمسح صحراء القلب الكبرى
يسكت مذئبةً من ألم تعوي
بين جبال الهم الصدري
يمسح أشواك الحقد النابت
في زمن الشوك

عن حوض الأمل الذابل

ينبت.. يكبر يغدو ربيعًا أبديًّا

يورق أوراقًا لا تسقطها أسياط الريح الهوجاء

عشقك

يعلو يلمس أفقًا لا تعرفه الآفاق

يشرق

يتناثر إشراقًا في إشراق

عشقك نور يجعل من عظمي

فانوسًا في ليل العشاق.

عيناك الفضاء

عيناك هذا الفضاء
تنحسر البحار
وتختصر المسافات
بين آفاق وآفاق
تتيه مركبة القصيد
المصنوعة من لحم الحب
في مدى عميق من شعور
رحله استكشاف لمدن
تكسوها ثلوج الحياء
تبرز منها رموز لحضارات عريقة
منحوتة من روح الفن
واحات من ربيع أحمر
في صحراء خضراء

شعر يغزله الليل
يعدم أشباح البعد
أنهار القبل العذبة
تسقي أشجار الإحساس
وجه يحمل أياما
تحمل باقات الأحلام
عبثًا يبحث سلطان الحب
عن نافذة كي ينفذ من.. أقطار العينين.

لا أحب حبيبتي

لا أحب حبيبتي
قبل لحظة الامتلاء
أترك الحب
وأترك القلب ناقصًا
لكي أبقى أحب
أفر من شبع الحب
إلى جوعه مرة أخرى
أسكب الحب القديم
على زهرة الحب الجديد
في أزقة القلب المحاصر
بالضفائر
والرشاقة
والحنان.

لا أحب حبيبتي
لأن قليل المرّ
في طبق الحلاوة
يعيد ترتيب الطعم
في فمي أحلى
أستفزها...
تشب كالضوء المجمد
من زجاج الروتين المغبر
أحيد بها عن طريق
مكتظة بالمسافرين
يرددون قصصًا
لـ(قيس) و(ليلى)
و(روميو) و(جولييت).

لا أحب حبيبتي
أو الجلوس هناك

في حديقة الأزهار
التي داسها العشاق
أفواجًا.. أفواجًا
وأزعجوا الأزاهير
من باقاتهم
المجللة بكفن المشاعر.

لا أحب حبيبتي
في صورة القمر التالف
في ملاعب القصائد
منذ العصر الجاهلي
حتى الحداثة.

لا أحب حبيبتي
فقط على شاطئ الشهوة
الغريق في رمال الزمن
لا أحب حبيبتي...إلا عندما أصنع مركبًا جديدًا.

منثورات

وحدي على شاطئ الليل

وحدي على شاطئ الليل
أكتب على رمل الخوف آمالي
بأقلام الهواء المكسرة
أحدق في وجه الليل
كي أجد حرفًا من أمل
يؤنس وحدتي
فلا أجد سوى ليل ينظر في وجهي
يبحث عن أمل... يمحو يأسه
فلا يجد سوى وجهي وخريطة الحزن القديم.

تلالٌ ثلاث

أركب فوق جواد من إرادة
أنجبته خيول الظروف الجامحات
أطارد في ساحة من فراغ
أشد لجام الأماني
يحملني سرج زئبقي
أحمل أسياط القلق ..أجلدُ
من أجلد؟
انظر في مرآة من حجر مجعد
أعشق امرأة من جمال وهمي
أكتب شعرًا لا يبرق
أحمل بندقية بدون زناد!

يا ليتني لم أكن شاعرًا

يا ليتني لم أكن شاعرًا
كي لا أرى الحزن أحزانًا لديّا
شظاياي الضحايا
كتله من النيران قلبي
مشاعري أسلاك كهرباء
تمسكها قطعةٌ جلديةٌ محترقةٌ
تذوب في فرن الهموم
أخاف مما ورائي
نار تشب في شوك الذكريات
أشباح تلوح
كأشجار الصنوبر من أمامي
في ليل كانون
للحزن جاذبية

كجاذبية المغناطيس لبرادة الحديد
أحس تكلسات الملح في مغر دموعي
أحس غزالة تبكي على ظبي قتيل
ذنوبي
أحس دموع طفل في أقاصي الأرض
نقصًا من حليبي
أحس زلازل الأرض سخطًا عليّ
أدثر طفل خوفي كي ينام لأنام
على رصيف الضياع
في سفر يسافر تحت أرجله الطريق
بابتسامات عابرات
كغيم الصحارى
فرحي حبة التمر في مأتم العمر القصير
يذوب سكرها في نهر الحنظل الشفوي
كل قطرة دم في دمي
أحزان دهر يتيم
وكل دمعة

أحزان شاعر مكتئب
فاقد الأرض والشعب والحبيبة
لو كنت إحدى الضائعات
كنت أبكى ولا أبكي
كنتُ أُرثى ولا أرثي
ألم الحمامة يكبر
وجع الفراخ التي التهمتا الثعالب
أنا الحمامة وفراخها المأكولة
لو لم أكن شاعرًا
لتعاملت مع حزني بطريقة أخرى
كبناء قصر من الحزن... مثلاً!

ماذا أنا؟

أنا لعبة الأسى الأعمى
يكسرها ويضربها
بحائط حجري
يختم وجهي على وثائق الحزن المكدسة
على رفوف الممات
لعقت الشوك والزقوم كمًّا وكيفًا
قد كنت سنبلة من القمح حتى
أتاني ثور يأس جائع
راح يطحنني
تناثرت...
تطايرت...
حبةٌ مني نجت مصادفة
فعادت تشق حياتها بين

حشائش الصخر المسجى
بمنحدر مائل خطر
من تحتها واد موت
غير ذي زرع
ومن فوقها طائرات مخالبها الصواريخ.
ماذا أنا؟
كل هذا الموت ضدي
وكل هذا الداء في عظمي.
ماذا أنا؟
كل حوافر الأيام فوقي
ولست دربًا
أو طريقًا إلى أمل يؤدّي.

ماذا أنا؟
أنا ورقة التوت في فصل الخريف
لست بحاجة إلى عاصفة
لتوقعني... على سرير الفناء!

اعتزال واعتراف

كيف لا أعتزل الشعر؟ فأنا لا أجيد القوافي!

كيف لا أعتزل العمل؟ فأنا من يستعبد العمال!

كيف لا أعتزل الغناء؟ فأنا أبتلع نصف الحروف!

كيف لا أعتزل الخطابة؟ فأنا لا أحسن الوضوء!

كيف لا أعتزل المجالس؟ فأنا لا أحترم الكبير!

كيف لا أعتزل كرة القدم؟ فأنا أصبحت الكرة نفسها!

كيف لا أعتزل الطب؟ فأنا لا أميز بين القدم والرأس!

كيف لا أعتزل الصناعة؟ فأنا لا أميز بين القلم والرصاصة!

كيف لا أطلق زوجتي؟ فأنا أصبحت أنثى مثلها!

كيف لا أعتزل السياسة؟ فأنا لا أميز بين القضاء والفضاء؟

كيف لا أعتزل حب الوطن؟ فأنا لا أميز بين العميل والمناضل!

كيف لا أعتزل الحياة؟ فأنا الحي الميت.. الحي الميت!

فلينتحر الشعراء

إن يبق الأفق المظلم هذا
من دون ضياءٍ أو
شمس تشرق
فلينتحر الشعراء
سقط الشعر بجائزة تعطى
من أجل الشكل
المفعم بالإبداع
من دون الفقراء
جنزير المدفع يحرث في الأشلاء
وعيون الشعر تراقبه
كي تلعنه
كي ترسمه
والسبق لمن يعطي الصورة كاملة

عند الأمراء

ما يجدي الشعر لعين ثاكلة

وأنامله عن مسح الدمعة كالبخلاء

ليكن الشعر الإنسان

في زمن النسيان

أو

فلينتحر الشعراء

فلينتحر الشعراء

زلزال اليابان

ارتجاج...
هناك دخان في اليابان
يجعل الأرض إبريقًا من الشاي يغلي
على نار يُدسُّ تحتها الوقود
الحجارة والغصون.. والإنسان
يزيد كبش الطبيعة الهائج الأمور تخريبًا
يقلب المشهد صورة كاملة
من العبث اللامعقول
الأشياء خارج المكان
رسومات بيكاسو بأشجارها الكثيفة
تصفع الأشجار
السفين يجرب المسير في الياس
الأرض تمشي للمغيب

خلف تلال المياه

البيوت كالقوارب

والقوارب قبعات للسطوح

القصف الآن لم يأت

من طائر ثمل في السماء

هيروشيما تعاود البكاء

تنظر حزنها الأول

وجهها مهشم من حجارة الطبيعة

ذكرياتها ضحايا الحروب

تصرخ.. في مرايا الممات

تبصق في أوجه الحروب

تحضن جرحًا ينزف أطفالاً

في شتى أصقاع الأرض

في بغداد

في غزة

في فيتنام

في سراييفو..

طوكيو تناشد السماء
بيد وقطعة من قماش
تعطل الجهاز "ريختر"
طوكيو تطوقها
جيوش التحالف الطبيعي
البحار والجبال
واللهيب المخزن في التراب
تشقق التراب
كأنه فم لأفعى الرمال
ذيله يلامس النواة
طوكيو تضمد الجراح
تلملم الحطام
من عظام
أو قصائد
تنشف جسمها بمناشف الدموع.

دماء القصيدة

للقصيدة

روح وجسم

ودماء تتغذى من ثمر الحرف

ونسيج (بولتزمي)

يمسك بعضها البعض

تلوح بشال فكرتها

لشاعر يتصيد على شاطئ اللغة

أو لآخر يحاول

تفسير ما لا يفسر في ميتافيزيقية الوجود

تصبح شيئًا ملموسًا في عالم الفنتازيا

تتبلور كمحارة في قاع البحر

تتعلق بنجم كالمنطاد

تتماهى في ماء عذب

تنزف حين يمر رصاص
يأتي من لا اتجاه
ياسمينًا لا يتجلط
تصبح نهرًا من ورد مجروح
لها كريات بيضاء شمسية
وكريات حمراء قمرية
تقتل جراثيم الحقد البشري
تجعل كونًا ينبض بالعشق... الشعري.

لا تتركيني وحيدًا

مللت...
مللت من وحدتي ومن غربتي
مللت...
لا شيء في هذا الزمان يؤنسني
ولا شيء يسعدني
وأنهار الأسى تصب في مرفئي
فتشعل في أحاسيسي لهيبًا
لا تتركيني وحيدًا
مللت للدرجة القصوى
فلم يبق فيّ مكان كي أمل
مللت عيشًا يعاني من الملل
مللت طحن الهواء وكثر الجدل
مللت صحراء السرير

مللت وحشة الليل
فلا تتركيني وحيدًا
ما عدت أنتمي إلى نفسي فأنا
بعيد عنها، وهي بعيدة عني
وما لي من أصدقاء
وإن أغرقتني الهدايا والمداهنات
فلا تتركيني وحيدًا.. فليس لي أهل
وإن أبدو محاطًا بالعشائر والقبائل
ولست بساكن بلدي
فنفسي تحوم كطائر حائر
فلا تتركيني وحيدًا
مللت طقوس الحياة
عادية.. وشبه عادية
فها أنا أبحث في ملل الحياة
عن قليل من الحياة
فلا تتركيني أموت وحيدًا
كما مات نيتشه.

الفهرست

وطنيات	٥
يا قدس	٧
القدس قلعة الأمجاد	١١
بكيت قدسًا	١٥
غزة.. إمبراطورية العرب	١٩
ستون عامًا	٢٤
فلسطين تبكي	٢٧
الأرض أرضي	٢٩
رائد الإصلاح	٣١
خالد لن الوليد	٣٦
خيانة عنترة	٤٠
في رثاء محمود درويش	٤٤
عيد الأضاحي	٤٩
الشهيد	٥٣
مصر	٥٦

على جدول الطمأنينة	٦١
دروب الحياة	٦٤
الألم	٦٦
شباب اليوم	٧٠
المحامي	٧٤
جيوش المصائب	٧٦
إلى ثائر عربي	٧٩
القدس في خطر	٨٣
أسرة في الأسر	٨٧
في غرفة التحقيق	٩٠
نكبة	٩٧
طيور أبابيل	١٠٣
جدار العنكبوت	١٠٧
على الحاجز عامل	١١٣
لص غريب	١١٥
شهيد بدون تأبين	١١٨
غزليات	١٢١
يا أجمل الناس	١٢٣

بانت عندم	١٢٦
رحماك	١٢٩
سهام حبيب	١٣١
جعلت فؤادي	١٣٤
خمور كرمك	١٣٨
تهجريني.. تندمي	١٤٢
أحبك يا أحلى النساء	١٤٤
حب طاهر	١٤٧
لحظة تأمل	١٥٠
هكذا أفسرك حبيبتي	١٥١
العشق النابت في العظم	١٥٥
عيناك الفضاء	١٥٧
لا أحب حبيبتي	١٥٩
منثورات	**١٦٣**
وحدي مع الليل	١٦٥
تلال ثلاث	١٦٦
يا ليتني لم أكن شاعرًا	١٦٧
ماذا أنا؟	١٧٠
اعتراف واعتزال	١٧٣

فلينتحر الشعراء | ١٧٤
زلزال اليابان | ١٧٦
دماء القصيدة | ١٨٠
لا تتركيني وحيدًا | ١٨٢